استلهام الوسطية
في الفنون الاسلامية

د / زينب محمود أحمد علي
مدرس بكلية التربية جامعة سوهاج

استلهام الوسطية في الفنون الاسلامية

د / زينب محمود أحمد علي *

مقدمة البحث :

الفن الإسلامي هو الفن الذي قدمته الثقافة الإسلامية، و هو نتاج فكر وثقافة الفنان المسلم، وقد تنوع الإنتاج الشكلي للفن الإسلامي بتنوع الفكر والرؤية الإنسانية للكون والحياة في ظل الإسلام.

وقد اختلفت مفردات هذا النوع من الفن إلى عناصر عديدة وابتكارات متنوعة توزعت بشكلها البارز والغائر وقد اقتصر هذا النوع من الفنون على تزين دور العبادة مثل القباب والمنارات والمنابر المصنوعة من أنواع الخشب إلى الحواف العلوية للمساجد ومساكن الولاة ودواوينهم وبعض منازل الأثرياء.

و الفن الإسلامي هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين "الجمال" و "الحق". فالجمال حقيقة في هذا الكون ، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيا في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود.

وقد جاء الفن الإسلامي للترويح عن نفس المسلم بما يتناسب مع الشريعة الإسلامية.

الدين الإسلامي حرم رسم الأشخاص فاتجه الفنان المسلم إلى عوالم جديدة بعيدة عن رسم الأشخاص ، وبعيدة أيضا عن محاكاة الطبيعية وهنا تجلت عبقريته وتجلي إبداعه ، فأوجد هذا الفن الزخرفي الذي لم يسبقه إليه أحد من قبل ، بعد أن أعمل فيها حسه المرهف وذوقه الأصيل فحور في أشكال النباتات بشكل لا مثيل له .

ووجد الفنان المسلم في فن الزخرفة بغيته من حيث البعد عن دائرة الحظر في المنهج الإسلامي فهو بعيد عن التشخيص بطبيعته، واستطاع الفنان المسلم بخياله الخصب أن يحقق الأمر الآخر وهو البعد عن محاكاة الطبيعة، وبهذا كان هذا الفن ملائما للمواصفات التي يحددها المنهج الإسلامي .

* مدرس بكلية التربية جامعة سوهاج.

وتعد العناصر "النباتية" وكذا العناصر "الهندسية" مقومات أساسية في بناء هذا الفن تتعاون مع بعضها تارة، وتنفرد كل منهما على حدة تارة أخرى.

والزخرفة الإسلامية تمثل نظرة إيمانية للكون والوجود، فهي ذات فلسفة تشكل روح الإنسان المسلم ونظرته الدينية، والزخرفة ذات خصائص فنية في الأسلوب والتكوين تشكل الرؤية الفلسفية كما تحققت في نفس المسلم، ويتمثل أسلوب الزخرفة في ابتعادها عن التجسيد والمحاكاة وتجريد الإشكال الطبيعية إلى خطوط هندسية بسيطة .

وقد ظهر أسلوب الزخرفة الإسلامية بشكل سطحي بالابتعاد عن المنظور وخداع البصر والتجسيد ثلاثي الأبعاد، وظهرت المساحات بألوانها النقية مشكلةً قيمة جمالية بتلاعب ألوان المساحات بدلا من الظلال والنور.

وفكرة الزخرفة الإسلامية تقوم علي التحوير والتكرار بما يحقق الانسجام والتوازن في العمل الفني والمسلم بطبيعته إنسان متوازن وهذا يتمشي مع فطرته التي فطره الله عليها، وسيتم في هذا البحث دراسة العلاقة بين الوسطية كأهم خاصية للمنهج الإسلامي، وفن الزخرفة الإسلامية.

والوسطية في الإسلام تمثل فكر المنهج الإسلامي ، قال تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " صدق الله العظيم(سورة البقرة، آية ١٤٣) وبالتالي فهناك صلة بين فلسفة الوسطية وبين الفكر الزخرفي الإسلامي كنتاج للحضارة الإسلامية .

والوسطية في الإسلام تعني الوسط أو الاتجاه المتوازن المعتدل الذي يجمع بين إتباع النصوص ورعاية مقاصد الشريعة ،فلا يعارض الكلي بالجزئي ولا القطعي بالظني فهو يجمع بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر " (محمد الراشد، د-ت، ١٥٦)، فالوسطية إذن تُشكل اتجاه للربط بين الدين بثوابته مع العصر المتطور بمقتضياته ومتطلباته المتغيرة.

والبحث الحالي يحاول توضيح فلسفة الوسطية الإسلامية من خلال الوسطية بين الفكر الإسلامي والمادة المتمثلة في فن الزخرفة الإسلامية والتي تنعكس على التفكير من خلال الشكل والمضمون.

مشكلة البحث :

تتعرض الأمة الإسلامية علي مر العصور إلي هجمات تستهدف كيانها كله فهناك الكثير من الكتب والبرامج التي تشوه صورة الإسلام وتُظهره بعكس مفهومه علي أنه يهدم الحضارة الإنسانية ويحرض علي العنف ويعادي الديمقراطية، وقد آن الأوان أن يتم مخاطبة العقول التي غرست هذه المفاهيم الخاطئة بموضوعية شديدة للكشف عن هوية الحضارة الإسلامية المعاصرة بالتحاور والتفاعل مع الحضارة الغربية .

لقد شاء الله سبحانه وتعالي للأمة الإسلامية أن تكون وسط وأن يكون شعارها العدل وأن تصبح وسطا في الجغرافيا باعتبار أن موقع الأمة العربية جعلها في بقعة تمتد بين الشرق والغرب حتي قدر لها أن تمتزج بين السمة الأساسية لثقافات الطرفين. إذ امتزجت فيها والتقت روحانية الشرق ومادية الغرب الأمر الذي ميز هذه الأمة بطابع ثقافي أطلق عليه ثقافة الأمة الوسط التي سادت تاريخيا في هذه المنطقة من العالم (حسنين بوادي ، ٢٠٠٦، ٦٩).

الوسطية في الإسلام تمثل تصور جامع غير مغلق، بمعنى أنها لا تشكل نقطة الوسط الرياضي لتحافظ على مسافات ثابتة متساوية بين القطبين بقدر ما الموقف الأصعب الذي لا ينحاز الانحياز السهل إلى أحد القطبين.

تمثل الوسطية الفطرة الإنسانية الرافضة للغلو والتطرف ، و تشكل نقطة تحمل من كلا القطبين سماتهما بكل تناسق وتناسب لتشكل موقفا ثالثا يمثل الاعتدال. (محمد عمارة، ١٩٩١ م،٢٧).

وهي بذلك تكون وسطية جامعة، فهي تمثل الشجاعة ما بين الجُبن والتهور، فهي تجمع ما بين الحذر والإقدام، وتمثل الكرم ما بين الإسراف والشح، فهي تجمع ما بين العطاء والتدبير، قال تعالى " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " (الفرقان،آية ٧٦).

ولقد أخرجت الوسطية الإسلامية بتوازناتها الفكر الإسلامي حالة التناقضات الثنائية إلى حالة جامعة تشكل منهجا ومرجعا بتوازن فريد.

وبما أن الوسطية الإسلامية تشكل حالة جامعة تتشكل باجتماع متناسب متناسق لحالات ثنائية متضادة، ودمجها في قالب حيوي واحد فإن البحث عن الفكر المعماري الوسطي سيكون من خلال العلاقة بين الشكل والمضمون، كحالة بين الأشكال المادية والوظيفة ذات الالتصاق الحسي بالإنسان مع ما تقدمه هذه الأشكال من امتداد روحاني يحقق رضي داخلي.

إن إنتاج الفكر الزخرفي الإسلامي الوسطي بحالته الحيوية بين المادة والروح التي تحقق فهما وإنتاجا للشكل والمضمون ستمثل اللوحة الزخرفية من تعبير وتكوين ويمثل الشكل الفني .

تمثل الوسطية الإسلامية وحدة ثنائية القطب، فهي موقف ثالث وصفة جامعة تؤكد التناسق والتناسب بين الموقفين الحاديّين، فهي توجيه تركيبي يتجه نحو الثابت والمتغير ويشكل حلا إنسانيا مرنا واقعيا مع استدامة المنهج روحانيا وعمليا وهو احترام للعقل والروح معا فلا طغيان بتوجه واحد ولا تميع وسحق للذات، والإسلام بحيويته واستدامته، فإنه ينتج منهجا حيويا فاعلا ذا تأمل وإيمان. (حسن عيسي ٢٠٠٩،٢٠).

إن الفهم الصحيح للتصور الإسلامي بتوازنه الروحي والمادي يشكل نظاما علميا عمليا يحقق عمارة الأرض ضمن الإطار الفكري والإيماني، فالإسلام احترم العقل وتعامل مع الإنسان بطبيعته المادية والروحية، وقد كرس حب العمل والإنتاج كجزء من عبادة الخالق وفق مفهوم العمل عبادة، وقد أظهر الإسلام اختلافا في الوعي الإنساني حول مفاهيم الطبيعة والثراء والعلم والسياسة والتوازن المادي ضمن حدود تحفظ للإنسان عقله ودينه، وتشكيل مجتمع متكامل الوظائف دون رهبانية أو انحراف مادي.

إن الحياة الإسلامية يحكمها عاملان، بين الرغبة الطبيعية المادية والمنظومة الأخلاقية المنظمة التي تمثل القوة والسعادة والكمال الأخلاقي، فالحياة الإسلامية هي حياة إنسانية تعترف بخصائصه ورغباته وغرائزه وجانبه المادي والروحي، وهي اتساق الإنسان مع نفسه واتساق مثله العليا والروحية وبين متطلباته المادية والاجتماعية والفكرية،ولقد أظهر المسلمون الأوائل اعتقادا حقيقيا صحيحا للمنهج الإسلامي، وبهذا الاعتقاد الصادق التطبيقي أظهر تحقيقا ماديا وليس نظريا فقط.

وبالتالي فإن فلسفة الفنان المسلم تكونت وتطورت وفقا لهذا الاعتقاد الذي أنتج فلسفة وفكرا وفنا تمثل في فن الزخرفة الإسلامية، فخاصية التكرار في الزخرفة الإسلامية تمثل قوة وتحديا للفنان للمسلم، فهي خاصية بحاجة إلى رؤية فنيه مختلفة متميزة، حتى لا تتشكل بتكرار ممل خالي من الفكر والروح، ذلك أن الفنان المسلم أستوعبها.

والفنان المسلم لا يتجزأ فهو يحاول أن يحقق الوسطية الفكرية مع الفنية ويترجم شعوره الداخلي إلي لوحات فنية زخرفية تعكس عما يشعر به من اتزان داخلي.

يحاول البحث الحالي دراسة فلسفة الوسطية الإسلامية كأهم صفة للمنهج الإسلامي وربطها بفلسفة الفن الزخرفي الإسلامي، والوصول إلي بعض الخصائص المستمدة من فلسفة الوسطية والفن الزخرفي كأساس فلسفي للفن الإسلامي .

أسئلة البحث :

حاول البحث الحالي الإجابة عن السؤال التالي :

هل توجد علاقة بين الاعتدال والاتزان في الفن الزخرفي الإسلامي وبين الوسطية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي ؟

حدود البحث :

- الاقتصار علي دراسة الفن الزخرفي الإسلامي كأحد أهم الفنون الإسلامية، ومدى تطبيقها للمنهج الفلسفي الوسطي في الإسلام.
- الوسطية الإسلامية كمنهج فلسفي و الفن الزخرفي الإسلامي كأساس فني وسطي .

مصطلحات البحث:

- **استلهام:**

جاء في لسان العرب استلهمه إياه أي سأل الله أن يلهمه إياه والإلهام أن يلقي الله في نفس المرء شيء ما، وفي الحديث :" أسألك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي".

وتعرف الباحثة الاستلهام إجرائيا بأنه: " استشعار وإدراك ما وراء الفن الإسلامي من جماليات فنية توحي بالاعتدال والتوازن والوسطية التي تتماشي مع المنهج الإسلامي الوسطي"

- **الوسطية:**

الوسطية حالة محمودة تدفع صاحبها بهدي الإسلام دون انحراف عنه، أو تغيير فيه، بل تستقي الهدي الصادق من النبع الصافي؛ لتجعل الأمة عادلة تقيم العدل بين الناس، وتنشر الخير وتعمق عمارة الأرض بوحدانية الله .

الوسطية تعني التوازن أو الاعتدال وهي التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل،

وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغي علي مقابله ويحيف عليه. (يوسف القرضاوي ، ٢٠٠٨،١٣).

و تعرف الباحثة الوسطية إجرائيا بأنها:" التفكير المعتدل المتوازن الغير متطرف الذي يؤاخي بين البشر، فيصبح الفرد في ظل الإسلام متقبلا الآخر ويعطي كل ذي حق حقه."

- **الفن الإسلامي:**

الفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام، إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود .(محمد قطب،د-ت،٢٢).

و تعرف الباحثة الفن الإسلامي بأنه الفن الذي ازدهر في الدولة الإسلامية وترعرع تحت رعايتها سواء كان عمائر أو تحف أو زخارف إسلامية بأشكالها وعناصرها المختلفة.

فروض البحث :

يقوم البحث الحالي علي الفرض التالي :

هناك علاقة بين الاعتدال والاتزان في الفن الزخرفي الإسلامي وبين الوسطية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي".

منهج البحث :

اتبع البحث الحالي المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة وتحليل بعض النماذج الزخرفية للوصول إلى مفهوم وجوهر الفن الزخرفي الإسلامي كجزء من القاعدة الفلسفية للفكر الإسلامي.

والربط بين البعد الفلسفي المتمثل بالوسطية مع التشكيل الزخرفي وخصائصه ، و الفلسفة النظرية المتمثلة بالوسطية والفنية التي تعكس البعد الفلسفي للوسطية المتمثل بالزخرفة.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث الحالي في كونه :

- يربط الزخرفة الإسلامية بالفكر الإسلامي القائم علي مبدأ الوسطية.
- يوضح مرونة المنهج الإسلامي المتمثل بالوسطية كقاعدة وأساس فلسفي للفن الإسلامي.
- يشكل مرجعا فلسفيا وفنيا لفلسفة الوسطية في الإسلام.
- يبحث في الفلسفة الوسطية والتجريد في فن الزخرفة الإسلامية.
- يعكس مدي التقارب بين الإسلام بنظرته المعاصرة المستقبلية وبين الفن الإسلامي الأصيل.

أهداف البحث:

- الكشف عن العلاقة بين الوسطية في الإسلام والوحدات الزخرفية الإسلامية.
- تعميق المفهوم الخاص بالوسطية والنظر إليها كمنهج وفلسفة للحياة الإسلامية.
- توضيح تطبيق الفلسفة الوسطية في الفن الإسلامي .
- إظهارا عمق الحضارة الإسلامية المتمثل في الزخرفة الإسلامية، والنظر إليها كتطبيق فني لفلسفة الحياة الإسلامية ذات البعد الإنساني، والثقافي وصلاحية المنهج الإسلامي لجميع الفترات التاريخية المتعاقبة.

الإطار النظري للبحث

أولا: الوسطية في الإسلام

مفهوم الوسطية:

يعتبر الإسلام نهج حياة بلا ثنائية أو انقياد، وهو نظام يقدم فكرا وفنا للفرد والأمة، ومن الأمور التي عني بها الإسلام هو تقديم منهج وسط كاتجاه للتوازن والاعتدال في حياة المسلم.

والوسط في اللغة يعني النصف والعدل، ويأتي معنى وسَط بفتح السين (الاعتدال)، أما وسْط بتسكين السين تعني (العدل)، والوسُط بضم السين تعني (التوسط) أو الوسيط ، ويذكر صاحب لسان العرب "أوسط الشيء أفضله وخياره وأعدله. (عبد الحميد إبراهيم،٢٠٠٥، ٦٠).

فالوسطية تعني الاتزان والتعادل والقدرة على التحكم، كما تأتي الوسطية بمعنـــي الفضيلة من حيث كونها حالة تشكل وسطا للجميع بما تنتجه مـــن انفعـــالات وأفعـــال بالنسبة إلى الموضوع المناسب تجاه الأشخاص المناسبين للدافع الصـــحيح بالطريقـــة الصحيحة، وذلك ما يعطينا ما هو وسط وأحسن، وتلك هي صـــفة الفضـــيلة. (عبـــد الحميد إبراهيم،٢٠٠٥،١٠٢).

ويفسر القرضاوي الوسطية على أنها :"اتجاه مدرسة الوسط أو الاتجاه المتـــوازن المعتدل الذي يجمع بين إتباع النصوص ورعاية مقاصد الشريعة، فلا يعارض الكلـــي بالجزئي ولا القطعي بالظني فهو يجمع بين محكمات الشـــرع ومقتضـــيات العصـــر. (محمد الراشد، د- ت، ١٥٦).

فالوسطية تشكل اتجاه للربط بين الدين بثوابته مع العصر المتطـــور بمقتضـــياته ومتطلباته المتغيرة.

فالتوسطوالاعتدال ليس أمرا ميكانيكيا وإنما هو أمر يتعلـــق بمرونـــة الشـــريعة الإسلامية المبنيةعلى الوسطية و الاعتدال .

والوسطية الإسلامية هي شيء مميز للمنهج الإسلامي وصـــفة خاصـــة للأمـــة الإسلامية اختصها بها المولي عز وجل فقال تعالى في كتابه الحكيم " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "(سورة البقرة، آية ١٤٣).

و قال تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بـــالمعروف وتنهـــون عـــن المنكر "(سورة آل عمران،آية ١١٠) ، إن العلاقة بين ما هو واقعي وبـــين مـــا هـــو مثـــالي تتحـــرر بقاعـــدة الأمـــر بـــالمعروف والنهـــي عـــن المنكـــر.(مصـــطفي باجو،٣٩،٢٠١١).

إذاً الوسطية صفة لسلوك الأمة إذ أنها لا شرقية ولا غربية وهي ســـلوك ضـــد التطرف الذي ينشئه الواقع ، فالواقع يتطرف بذاته فيخلق حالة مضادة تشكل ردا فعليا ليس نصا أو فكرا "فالعقل يفهم ولا يبرر، يُقارن ولا ينحاز، يُدرك ولا ينفعـــل.(عبـــد الرحمن الميداني، ٢٠٠٩م،٦١) .

فالوسطية هي التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لاينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، ولا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقهويطغـــى على مقابله ويحيف عليه (يوسف القرضاوي،٢٠٠٨م،١٣).

والوسطية حالة محمودة تدفع صاحبها للالتزام بهدي الإسلام دون انحراف عنه أو تغيير فيه ، بل تستقي الهدي الصادق من النبع الصافي ؛ لتجعل الأمة عادلة تقيم العدل بين الناس، وتنشر الخير، وتحقق عمارة الأرض بوحدانية الله ، والإخاء الإنساني بين البشر فيأخذ كل ذي حق حقه في ظل الإسلام .

الوسطية في القرآن والسنة :

أشار القرآن الكريم إلي وسطية الخيرية في آيتين من خمس آيات نصت علي لفظة الوسطية في قوله تعالي : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (سورة البقرة، آية ١٤٣).

والثانية في قوله تعالي : " قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون" (سورة ن، آية٢٨) والأوسط هنا الأكثر عدلاً والأرجح عقلاً ، والمقصود بالتوسُّط أَنْ يتحرَّى المُسْلِمُ الاعتدالَ ويبْتَعِدَ عن التطرف فإنَّ الإفْرَاطَ والتَّفريطَ مذمُومانِ وقد نهىَ الله عنهما وذمَّ أهلَهما، قالي تعالي " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ " (سورة هود،آية ١١٢) . فمتى ابتعدَ الإنسانُ عن الإفراطِ والتَّفريط فقد اعتدلَ على أوْسَطَ الطريقِ واستقامَ على الصِراطِ المستقيم كما أمره الله فقال تعالي : " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " (سورة الأنعام،آية ١٥٣).

وقد كَثُرَتْ الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة الشريفة في الأمر بالوسطية والحَث عليها ومَدح أهلَها قال تعالى: " وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا "(سورة الإسراء،آية ٢٩)، وقال تعالى:"وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" (سورة الفرقان،آية٦٧).

وقال تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (سورة الأعراف،آية ٣١)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} (سورة المائدة،آية ٨٧ و٨٨).

وقال تعالى: "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (سورة الأعراف،آية ٥٥).

وقال تعالي: "وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ" (سورة الأعراف،آية ٢٠٥).

وقال تعالى: "وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً" (سورة الإسراء،آية ١١٠).

وقال تعالى: "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا"(سورة الأنبياء،آية ٩٠).

وقد اهتمت السنة النبوية بالوسطية وهناك عدة أحاديث نبوية شريفة منها قوله صلي الله عليه وسلم " وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين " وقوله صلي الله عليه وسلم " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين "

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ غفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَيْهِمْ فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

وما كان هذا الإنذار النبوي بقوله صلي الله عليه وسلم "فمن رغب عن سنتي فليس مني" إلا بيانا لخطر القدوة السيئة في نشر الفكر السيئ والتصور المغلوط ، وما يتبع ذلك من فتنة في الدين، وتنفير عن نهجه الوسط المستقيم. (مصطفي باجو،٢٠١١، ٢٣).

و عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يَمْشِي بَيْنَ يَدَيَّ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ أَيْدِينَا بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "أَتُرَاهُ يُرَائِي؟ فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَتَرَكَ يَدِي مِنْ يَدِهِ ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يُصَوِّبُهُمَا وَيَرْفَعُهُمَا وَيَقُولُ: عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ".

و عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: يَجْتَهِدُونَ فِي العِبَادَةِ اجْتِهَادًا شَدِيدًا فقالَ: "تِلْكَ ضَرَاوَةُ الإِسْلاَمِ وشِرَّتُه، ولِكُلِّ ضَرَاوَةٍ شِرَّةٌ،

ولكُلِّ شِرَّة فَتْرة، فمن كَانَتْ فَتْرتُه إلى اقْتِصَادٍ وسُنَّة فلام ما هو، ومَنْ كانَتْ فَتْرَتُهُ إلى المَعاصِي فَذَلكَ الهَالك".

وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِه".

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: "كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَكَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا"، وعن ابْنِ مَسْعُودٍ قال: "الاقْتِصَادُ في السنَّة خيرٌ من الاجْتهادِ في البِدْعة".

وعن أُبيِّ بن كعب قال: "عَلَيْكُم بالسَّبِيل والسُّنة، فإنَّه ليسَ مِنْ عبدٍ على سبيلٍ وسُنَّةٍ ذكر الرَّحمن ففاضَتْ عَيناهُ من خَشْيَةِ الله فتمسَّه النار، وإنَّ اقتِصَادًا في سبيلٍ وسُنَّة خيرٌ من اجتهادٍ في إضلال".

والذي يُمْعِنُ النَّظر في هذه النُّصوص يَرى أنَّها تدلُّ على أنَّ وسَطيَّة الإسلامِ عامَّةٌ جامِعَةٌ شامِلةٌ للعقيدةِ والأحْكَامِ والعِبَاداتِ والمُعامَلاتِ والأَخْلاق والعَاداتِ والعَواطِف، فهو بحق دينُ الله الواحد في الأرضِ والسّماء هو دينُ الإسلام كما قال تعالى "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلاَمُ" (سورة آل عمران،آية ١٩)، وقال تعالى: "وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا" (سورةَ المائدة،آية ٣).

ويقول ابنُ تيْمِيَة: "المسلمونَ وسَطٌ في أنبْياءِ الله ورُسلِه وعباده الصَّالحين لم يغلو فيهم كما غلتِ النصارى ولم يَجْفُوا كما جَفَتِ اليَهود"، وهم وسطٌ في شرَائع دِين الله، فلم يُحرِّموا على الله أنْ ينسخ ما شاء ويمحوَ ما شاء، ويُثْبت ما شاء كما قالَتْه اليهود، ولا جوَّزوا لأكابرِ عُلمائهم وعُبَّادِهم أن يُغَيِّروا دين الله فيأمرُوا بما شاءَوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى .

وهم كذلك وسَطٌ في باب صِفَات الله تعالى، فإنّ اليَهُودَ وصَفوا الله تعالى بصفات المَخْلُوق النَّاقصة، والنصارى وصَفُوا المخلُوق بصفات الخالِ المُخْتصَّة بـه.

وأمَّا أهلُ السُّنة والجَماعة فوسَط في بابِ الأسماء والصفَات بيْن أهلِ التعطيل الذين يُلْحدون في أسماءِ الله وآياتهِ ويُعَطلون صفاته، وبيْن أهْل التمثيل والتَّشبيهِ الذين يَضْرِبُون له الأمثال ويُشَبهونه بالمَخلوقات، وأمَّا هم فيُؤمنون بما وصفَ الله بهِ نفسَه وما وصفه به رسولُه -صلى الله عليه وسلم- من غيْرِ تحريفٍ ولا تَعْطيل ولا تكييفٍ ولا تمثيل.

وهم وسَطٌ في سائرِ أبوابِ السُّنة ووسَطِيَتُهم فيها راجعة لتَمَسُّكِهم بكتاب الله وسُنَّة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وما اتَّفق عليه السابِقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ رضِيَ الله عنهم أجمعين.

مظاهر الوسطية في الإسلام ومجالاتها :

- **الوسطية في العقيدة:**

يدعو الإسلام إلي الاعتقاد والإيمان القائم علي الدليل القاطع والبرهان اليقيني وما عدا ذلك يرفضه، ويعتمد الإسلام في نشر عقيدته علي منهج القرآن والسنة والسلف والبعد عن اصطلاحات الجدليين والكلاميين والاهتمام ببيان أثر العقيدة علي النفوس.

الإسلام دين وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله قط وبين الذين يعددون الآلهة فهو يدعو إلي الإيمان بإله واحد لا شريك له، وهو وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وحده مصدرا لمعرفة حقائق الوجود وبين الذين لا يؤمنون إلا بالوحي والإلهام، فالإسلام يؤمن بالعقل ويدعو للنظر والتفكير . (يوسف القرضاوي ،٢٠٠٨م، ٢١-٢٢).

وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الإلوهية أو البنوة للإله وبين الذين كذبوهم واتهموهم وصبوا عليهم كؤوس العذاب، وهو وسط بين الذين يؤلهون الإنسان وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية.

- **الوسطية في الأخلاق :**

اتخذ الإسلام مفهوما وسطا للأخلاق بين غلاة المثاليين الذين تخيلواالإنسان ملاكا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لم يمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرا محضا، وهؤلاء أساءوا بهاالظن، فعدوها شرا خالصا، وكانت نظرة الإسلام وسطا بين أولئك وهؤلاء (يوسف القرضاوي،٢٠٠٨م،٢٣).

إن وسطية الخُلق هي الالتزام بالخُلق الحسن و التخلي عن الخُلق الذميم مظهر من مظاهر الوسطية التي أمر بها الله عز وجل وحث نبيه صلى الله عليه وسلم بها، ورغب المؤمنين في الاتصاف بها. (هانم عوض،٢٠١١م،٢٩).

- **الوسطية في الشعائر:**

يقوم الإسلام علي عدة شعائر في صورة تكليفات يقوم بها المسلم وهي تكليفات غير شاقة " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " (سورة البقرة،آية٢٨٦) كما أنها لا تتعارض مع متطلبات الحياة من كدح لتأمين العيش والسعي وراء الرزق الحلال.

فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة ،أو في السنة كالصوم، أو في العمر مرة واحدة كالحج ، ليظل دائما موصولا بالله غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعيا منتجا يمشي في مناكب الأرض ، ويأكل من رزق الله. (يوسف القرضاوي ،٢٠٠٨م،٢٢).

- **الوسطية عند الخلاف:**

جعل الإسلام الحوار أساسا في التعامل مع الآخر وإعطاؤه الحرية في ممارسة شعائره حتى لو اختلفنا معه، وألا يكون الخلاف دافعا للعداء بل العيش المشترك و التعاون هو الجامع للمواطنين، يجعل الجميع يسعي إلي تحقيق الصالح العام للمجتمع .

- **الوسطية في التشريع :**

الإسلام وسطاً في التحليل والتحريم بين اليهوديةالتي أسرفت في التحريم وكثرت فيها المُحرَّمات مما حرَّمه إسرائيل على نفسه ومماجرَّمه الله على اليهود جزاء بغيهم وظلمهم ، وبين المسيحية التي أسرفت فيالإباحة حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة ، فالإسلام قدأحلَّ وحرَّم، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق البشر بل من حق الله وحده،ولم يُحرم إلا الخبيث الضار كما لم يُحل إلا الطيب النافع

- **الوسطية في التوازن بين الفرد والجماعة:**

تميل التأثيرات الاجتماعية إلي نقل البناء الاجتماعي بصورة مباشرة لكنها تحتاج ليس لان تعكس البناء ببساطة، حيث إن خصائصها الذاتية قد تؤثر في الاتجاهات؟، وربما تؤثر في إضعاف السلبية للبناء الاجتماعي العنصري، أو المواجهة الجزئية للآثار الايجابية للبناء الاجتماعي المتسامح.(جون دكت،٢٠٠٠م،٣٥٧).

في النظام الإسلامي تلتقي الفردية والجماعية في صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعية، وتتكافأ فيها الحقوق والوجبات، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم.(يوسف القرضاوي،٢٠٠٨م،٢٧).

لقد أسس الإسلام نظاما وسطا عادلا لا يجور فيه الفرد علي حساب الجماعة ولا يحيف علي المجتمع من أجل الفرد فلا يدلل الفرد بكثرة الحقوق الممنوحة له ولا يرهقه من كثرة الواجبات المكلف بها وإنما يعطيه الإسلام حقوق تكافئ واجباته وتلبي حاجاته وتصون إنسانيته في مناخ تسوده العدالة .

محاور الفكر الوسطي :

يقوم الفكر الوسطي علي ثلاث محاور رئيسة هي : (حسنين بوادي،٢٠٠٦م،٧٢-٧٣).

١- الالتزام بالأصول والثوابت للشريعة الإسلامية:

إذ لا مجال للتحدث عن فكر وسطي مع من يري أن التدين نوعا من التطرف، وهذا لا ينفي أن ساحة التدين بها كثير من صور التطرف الذي ينحاز إلي أكثر الآراء تشددا وهو أمر مقبول في حالة أن يكون اختياريا، ولكن الحرج يبرز إذا حاول الذين شددوا وبالغوا

أن يشددوا علي الآخرين أو أن يحاكموهم باختيارهم و بالآراء الذين انحازوا إليها،علماً بأن هذا التشدد يمكن أن تكون له صلة بالعادات والتقاليد التي يلبسها بعضهم ثوبا دينيا.

٢- البيئة الحاضنة المتوازنة:

يقصد بالبيئة الحاضنة هنا كل ما يحيط بالمجتمع من فكر ثقافي و سياسي واقتصادي ، لأن هذه البيئة التي يعيش في ظلها المرء تدفعه إما إلي الوسطية أو تدفعه نحو التطرف بحسب ما إذا كانت بيئته يتوافر فيها التوازن أو لا يتوافر فيها.

٣- إستراتيجية الدولة :

يقصد بذلك وجود إستراتيجية للدولة تقوم علي الفكر الوسطي تتبناها أجهزة الدولة الرسمية من مؤسسات تعليمية وإعلامية ومنابر الوعظ والإرشاد كما تتبناها النخبة الحاكمة في الدولة وتمارسها واقعا علي الأرض كمثال ونموذج يحتذي به ويتربي عليه الشعب ، فالوسطية ليست مجرد فكرة يتضمنها خطاب الدولة فقط بل لابد أن يترجم ذلك الفكر إلي واقع فعلي من خلال ممارسة فعلية لمؤسسات الدولة .

معالم الوسطية وخصائصها:

- **عدم الإفراط والتفريط :**

إن من خصائص هذه الأمة الوسطية وهي سبب خيْريَتها، ولا تزال الأمة بخير ما حافظت على هذه الخاصية التي تمثل الاعتدال والاستقامة على صراط الله عزّ وجل فإذا خرجت عن الوسط إلى أحد جانبيه ففرّطت أو أفْرَطت فقد هلكت، فإن التطرف مهْلكة، التطرف، والغلو والإفْرَاط تطرُّف، والتّقْصير والتّفريط تَطرُّف أيضًا، وكلاهما مَهْلَكة للفَرْد والمجتمع.

- **التيسير والتبشير :**

يتبني الفكر الوسطي التيسير في الفقه والفتوى ، والتبشير في الدعوة والتوجيه ، والتيار الوسطي يتشدد في الأصول (الثوابت) ولا يتهاون فيها ، أما التيسير فيكون في الفروع وقد كان النبي – صلي الله عليه وسلم – أكثر الناس تيسيرا في فتواه، وأعظم الناس تبشيرا في دعوته .وكان من أوصافه – صلي الله عليه وسلم– أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما. (يوسف القرضاوي ، ٢٠٠٧م،٢٥٧-٢٥٨).

- **توحيد مصادر المعرفة:**

جمعت الوسطية في الإسلام بين الوحي والعقل ؛ فالوحي هو مصدر التشريع، والعقل له دور في فهم الوحي، كما أنه مصدر من مصادر المعرفة البشرية العامة في الحياة، كما أنه يجمع بين علوم الشريعة وعلوم الحياة، وبعلوم الشريعة يستقيم دين الأمة، وبعلوم الحياة تستقيم حياة الأمة.

- **الجمع بين الأصالة والمعاصرة:**

تجمع الوسطية بين تيار السلفية والتجديد، فالسلفية تعني العودة إلي الأصول و الجذور والمنابع وهي تتمثل في العودة إلي القرآن الكريم والسنة، والتجديد يعني المعايشة للعصر، والمواكبة للتطور، والتحرر من إسار الجمود والتقليد.

- **الاعتدال بين الظاهرية والمؤولة:**

من معالم الوسطية الاعتدال والتوازن بين الجمود علي ظاهر النص من ناحية ، والتوسع في التأويل من ناحية أخري ، بلا مسوغ ولا ضابط ، ومقتضى ذلك فقدان الثقة بدلالات

الألفاظ ووظيفة اللغة، و يعتبر سوء التأويل من المزالق الخطيرة في تفسير القرآن ، فهناك من يرفض أي فهم جديد لأي آية من كتاب الله تعالي ، أو لحديث من أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولو كان هذا الفهم مما تؤيده اللغة ، ويقتضيه السياق ، ويتفق مع روح الإسلام ، ولا يخالف نصا ثابتا ولا قاعدة شرعية ، وفي المقابل هناك من يفتح الباب لتأويلات بعيدة و تفسيرات متعسفة أشبه بتأويلات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه .(يوسف القرضاوي،٢٠٠٧م،٢٦) .

- **الجمع بين السمو الروحي وبين عمارة الحياة:**

تتجلي الوسطية في الإسلام فيتولد عنها الاتزان بين متطلبات الجسد والروح ، فالإسلام جعل الدنيا دار عبادة يعمل فيها المسلم ما يؤهله للفوز بنعيم الآخرة ، وبذلك فالدنيا مزرعة الآخرة وجمع بينهما وفق منهج الله .

- **الموازنة بين الثوابت والمتغيرات:**

من خصائص الوسطية في الإسلام الموازنة العادلة بين الثوابت والمتغيرات أما الثوابت فتتمثل في العقائد التي تمثل نظرة الإسلام الكلية، وكذلك العبادات التي فرضها الله علي عباده، وأيضا القيم الأخلاقية العليا التي تحدد علاقة الإنسان بربه وأسرته ، وأخيرا الأحكام القطعية في شئون الفرد والأسرة والمجتمع والحكم والعلاقات الدولية ، التي ثبتت بالنصوص المحكمة القطعية في ثوابتها ودلالتها ، وأجمعت عليها الأمة، واستقر عليها الفقه والعمل. (يوسف القرضاوي،٢٠٠٧م،٢٦٩-٢٧٠).

أما المتغيرات فهي كل ما يتعلق بشئون الحياة المتغيرة من زراعة وصناعة ، وطب وهندسة ، وما إلي ذلك مما يتعلق بالعلوم التجريبية وتطبيقاتها في الحياة اليومية ، فالإسلام بهذا التوازن يجمع بين الثبات والتطور أي المرونة في تناسق بديع ، الثبات في الأهداف والغايات و المرونة في الوسائل والأساليب ، الثبات علي القيم الدينية والأخلاقية والمرونة في الشئون الدنيوية والعملية.

حاجة الأمة لدعم الفكر الوسطي :

تمر الأمة الإسلامية في العصر الحالي بمرحلة صعبة بين متعصبين ومتطرفين ومدعين يهددون حاضرها ومستقبلها هذا ما دعي الدول العربية إلي عقد بعض المؤتمرات المرئية التي تؤكد من خلالها للعالم كله أن الدين الإسلامي دين الوسطية والخيرية .

ففي الثالث عشر من شهر مايو ٢٠٠٥م تم عقد أول مؤتمر إسلامي يدعو إلي ترتيب البيت الإسلامي لمواجهة الغلو والتطرف وذلك تحت عنوان"الوسطية منهج حياة". وقد استهدف هذا المؤتمر نشر وإشاعة الأفكار الوسطية المستنيرة في الإسلام داخليا وخارجيا لمواجهة تحديات العصر . (حسنين بوادي،٢٠٠٧م،٧٩-٨٠).

ومن المهم في هذا العصر أن تنتشر الثقافة التي ترسخ مفهوم الذات المستقلة حيث أن الذات الاعتمادية والذات المستقلة من سياقين مختلفين، حيث تنشا الذات المستقلة في الثقافات التي تؤكد علي الحرية الشخصية، والحراك الفردي والهدف الرئيسي للتنشئة الاجتماعية في تلك الثقافات هو نمو أفراد مستقلين ويمكنهم تحقيق الاكتفاء الذاتي.(محمد عبد الرحمن،٢٠٠٤م،٩٧-٩٨).

معظم القضايا الفكرية والعلمية التي يطرحها العصر تضيع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين؛ الطرف الأول: طرف الغلو أو التطرف أو التشدد وهو الطرف الذي يُرهق الأمة من أمرها عسرا ويوقعها في الحرج ويعسر عليها ما يسر الله ويضيق ما وسعه الشرع ، لا يسمح لها برخصة ولا يبيح لها ما توجبه الضرورة ، ولا يؤمن بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال، ينكفئ علي الماضي ولا يعايش الحاضر ولا يتسامح مع مخالف، ولا يري العالم إلا من منظار أسود.

والطرف الثاني : طرف التسيب والتفريط والتقصير فلا يكاد يتشبث بعقيدة أو يتمسك بفريضة أو يحرم حراما ، الدين عجينة لينة في يديه ، يشكله كيف يشاء ومتى شاء . والأمة الوسط التي وصفها الله بالوسط" وكذلك جعلناكم أمة وسطا " (سورة البقرة ،آية١٣٤) وهي معصومة في مجموعها فلا تجتمع علي ضلالة وهي ترفض منهج هؤلاء المتسيبين المتحللين من العروة الوثقي . كما ترفض منهج الغلاة المتنطعين الذين أخبر الرسول صلي الله عليه وسلم بأنهم هالكون " هلك المتنطعون " قالها ثلاثا.(يوسف القرضاوي،٢٠٠٨م،٣٧).

لذلك كان لزاما علي كل مسلم عاقل أن ينفي عن الإسلام تحريف الغاليين وانتحال المقصرين وأن يتبني منهج الوسطية ويدافع عنه وأن يعمل علي تطبيقه علي أرض الواقع حتى يلتقي العلم والعمل والفكر والسلوك .

ثانيا: الفن الإسلامي

نشأة الفن الإسلامي:

لم يكن بشبه الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام حضارة فنية تشكيلية نظرا لطبيعة المنطقة وحياة أهلها التي تعتمد علي الرعي وقيادة القوافل ، وكان العرب عند ظهور الإسلام في طور التكوين وفي حالة لا يمكن أن يتفرغوا للعناية بالفنون لأن أمامهم مهام جليلة هي نصرة الدين الجديدة ونشره و تأسيس تلك الدولة الواسعة .

وبدأ أول ظهور للفن الإسلامي في القرن الأول الهجري السابع ميلادي وبلغ قمة عظمته في القرنين السابع والثامن الهجري الثالث عشر والرابع عشر الميلادي.(علي الطايش، ٢٠٠١م ،٥).

والفن الإسلامي هو الفن الذي قدمه المسلمون وقدمته الثقافة الإسلامية والدول الإسلامية خلال التاريخ الإسلامي، وهو عبارة عن فن تجريدي، ممثلا بالزخرفة وفنون الخط العربي و فنون العمارة الإسلامية و فنون الشعر.

والفن التشكيلي الإسلامي لا يشتمل على الكثير من رسوم الأشخاص، بما في ذلك الرسول محمد صلي الله عليه وسلم ، وذلك يعود للاعتقاد الإسلامي المبكر بأن ذلك شكل من التمثيل يعود بالناس إلى الوثنية وعبادة الأصنام، وبذلك ابتعد الإسلام عن تمثيل الشخصيات الدينية .

وقد كان لنواهي الدين الإسلامي عن إقامة التماثيل ورسوم الأشخاص أثرها في تقوية المسحة الزخرفية بأنواعها المختلفة بالإضافة إلي ازدهار فنون الكتابات الزخرفية لا سيما آيات القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.(سامي بشاي وآخرون ، ٢٠٠٥م، ٣٩٧) .

الفن الإسلامي وثقافة الأمة:

تمثل الفنون الإسلامية ترجمة لثقافة الأمة وطاقتها ووصفا للشخصية المُعْتنِقة للمنهج الإسلامي ، لتحافظ على ذاتها وليكون الفن الإسلامي محققا لرسالة إنسانية سامية تعبر عن جوهر الحضارة الإسلامية العظيمة، والتي كانت ذات غاية الوصول بوجود الخالق عز وجل، ويظهر التفريق بين النظرة الإسلامية، وبين سلوك بعض المسلمين الذين أظهروا مسالك للخصومة بين الدين والجمال من خلال رؤية شرعية ضيقة، والتي يتم فهمها وفقا للنظرة الإسلامية السليمة من خلال العودة إلى مصادرها الجوهرية التي تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد مثلت تجربة الحضارة الإسلامية على مر المراحل التاريخية، إبداعاً للأمة الإسلامية على المستويين الثقافي والمدني في ميادين الشريعة والعلوم والفنون والآداب، فتكونت الحضارة التي ارتكزت على الدين من خلال تعاليم إلهية أنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما تشكل الحضارة الإسلامية أحد روائع الحضارات الإنسانية الكونية وما أفرزته من توجه فني، وتشكل الزخارف عصب حيوي فيها، وهي من الأفكار الفنية الموروثة والتي ظهرت قبل آلاف السنين في الفن المصري القديم (Woltherwolf,D,2000,33-34).

والمتأمل للفن الإسلامي يجد أنه فن قائم علي الطبيعة بما فيها من أشجار وسماء وماء ونجوم واتخذ منها عناصره التشكيلية.(سمير الصايغ،٢٠٠٣،١٨٣).

وقد استخدم الفن الإسلامي أشكالا هندسية أساسية كما استخدمت في الحضارات السابقة أيضا كالمثلث والمربع والشكل الثماني، والذي ظهر في عمارة الكنائس، ولكن الرؤية والرسالة والمعنى اختلف تبعا للنظرة الإسلامية نحو تحقيق بعد إيماني إسلامي صافي.

والفن الإسلامي بما فيه من فن زخرفي عبر عن روح الأمة وحضارتها وجوهرها علي مر العصور وجسد لبعض فتوحاتها الإسلامية اتخذ من روح الإسلام نسقا جماليا وأبعادا روحية صقلته بفكر وفلسفة فريدة رفيعة ميزته عن غيره من الفنون وسبغته بمسبغة الأمة وثقافتها.

فن الزخرفة الإسلامية:

اتجه الفنان المسلم إلى فن جديد بعيد عن محاكاة الطبيعية ، وبعيد أيضا عن رسم الأشخاص ، وهنا تجلت عبقريته و إبداعه ، وعمل خياله فأوجد ذلك الفن الزخرفي الذي تفرد به وميزه

عن غيره من الفنون السابقة ، وعمل فيه حسه المرهف وذوقه الأصيل.

و الزخرفة واحدة من الوسائل المهمة التي تصنع الجمال ، وهذا هو السر في تبوئها مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية الأخرى ، فهي العمل الخالص الذي لا يقصد به إلا صنع الجمال ، وهنا يلتقي شكل العمل الفني بمضمونه ليكونا وحدة متماسكة لصنع الجمال ظاهرا وباطنا ، وهذا يصعب وجوده في إي نوع آخر من الفنون.

اتجه الفنان المسلم إلى هذا الفن لأنه وجد فيه بغيته من حيث البعد عن دائرة الحظر في المنهج الإسلامي. فهو بعيد عن التشخيص بطبيعته، واستطاع الفنان المسلم بخياله الخصب أن يحقق الأمر الآخر وهو البعد عن محاكاة الطبيعة، وبهذا كان الفن ملائما للمواصفات التي يحددها المنهج الإسلامي.

وقد عُرف المسلمون بهذا الفن من بين الفنون جميعها،حتى قيل إن الفن الإسلامي فن زخرفي. ذلك أنه لا يكاد يخلوا أثر إسلامي من زخرفة أو نقش- مهما كان شكله- بدءا من الخاتم الذي تحلى به اليد وانتهاء بالبناء الضخم الواسع الذي يجمع الآلاف من الناس.

عناصر الزخرفة الإسلامية:

١- العناصر النباتية:

حبب الإسلام إلي الفنانين أن يستعملوا الزخارف النباتية والهندسية ، فقد روي البخاري بسنده عن سعيد بن أبي الحسن حديثا جاء فيه " كنت عند بن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال: يا بن عباس إني إنسان إنما أعيش من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير فقال بن عباس لا أحدثك إلا بما سمعته من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم، سمعته يقول: " من صور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ أبدا ، فربا الرجل ربوة واصفر وجهه.فقال بن عباس: ويحك ! إن أبيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر، وكل شيء ليس فيه روح ".

لذلك لجأ الفنان المسلم إلي العناصر النباتية الطبيعية فحورها في شكل وحدات نباتية زخرفية مجردة جديدة و رتب هذه الوحدات ترتيباً غير مسبوق ، ولاءم بينها بطريقة مبتكرة ونسق بين أجزائها تنسيقا جعلها تبدو كأنها شيء جديد تم اخترعه لأول مرة ومزجها بفلسفته وسلط عليها أشعة عبقريته وخيالة ، فخرجت من بين يديه شيئا جديدا مميزا، وبذلك حملت اسم الإسلام .

كما أُطلق علي هذه الزخارف اسم فن (التوريق) وقد انتشر استعمال هذه الزخارف في مجالات مختلفة ، في تزيين الجدران والقباب ، وفي تجميل التحف المختلفة سواء كانت نحاسية أو زجاجية أو خزفية وفي تزيين صفحات الكتب، وقد أطلق المؤرخون علي هذا النوع من الزخرفية النباتية التي ابتدعها وابتكرها الفنان المسلم رسم (أرابيسك) نسبة للعرب.(علي الطايش،٢٠٠١م ، ٢٠).

نماذج من الزخرفة النباتية :

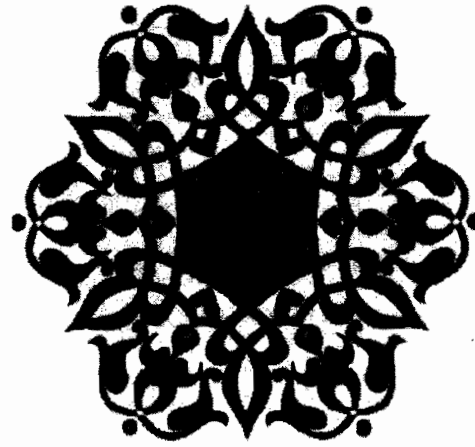

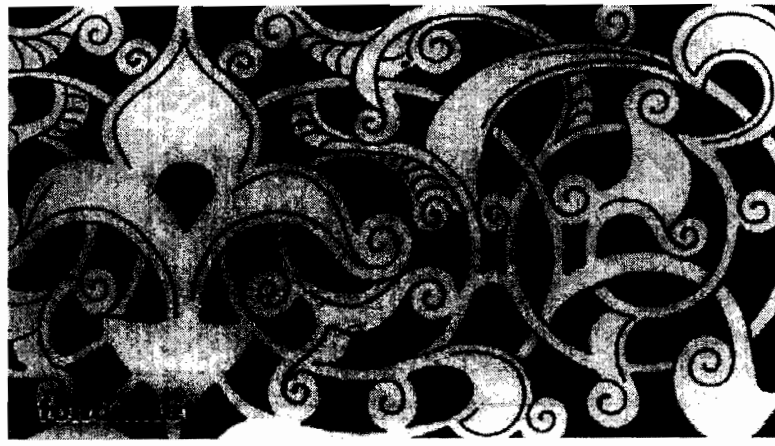

٢- العناصر الهندسية:

برع المسلمون في استعمال الخطوط الهندسية ، وصياغتها في إشكال فنية رائعة ، فظهرت المضلعات المختلفة ، والأشكال النجمية ، والدوائر المتداخلة.

تعتبر المسحة الهندسية من أهم سمات الفن الإسلامي وخاصة في التكرارات والنجوم والتراكيب

الهندسية المتعددة الأضلاع والتشكيلات الفنية الأخرى،وقد كانت هذه التشكيلات معروفة في الفنون الفارسية والبيزنطية السابقة ، ولكنها تطورت وأخذت أشكالها الجمالية الرائعة في الطراز الإسلامي حتى أثر هذا الأسلوب بعد ذلك على الطرز الأخرى وخاصة الأوربية.(سامي بشاي وآخرون، ٢٠٠٥،٤٠١)

وقد استطاع المسلمون استخراج أشكال هندسية متنوعة من الدائرة منها المثلث والمربع والمخمس وكذلك المسدس والمثمن والمعاشر ، ومن تداخل هذه الأشكال مع بعضها وملء بعض المساحات وترك بعضها فارغا يتم الحصول على مالا حصر له من تلك الزخارف البديعة التي تستوقف العين لتنقل بها رويدا رويدا من الجزء إلى الكل ومن كل جزئي إلى كل أكبر منه .

وقد استخدمت الزخرفة الهندسية في زخرفة المباني، و التحف الخشبية والنحاسية، ودخلت في صناعة الأبواب، وزخرفة السقوف.

نماذج للزخرفة الهندسية

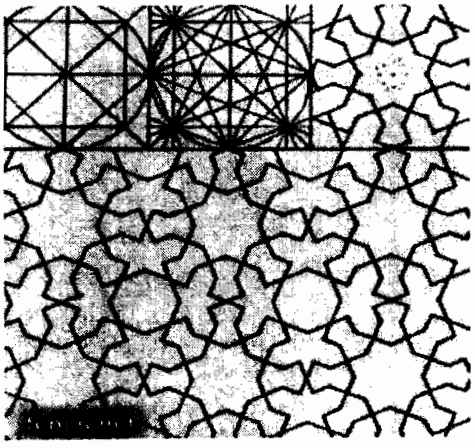

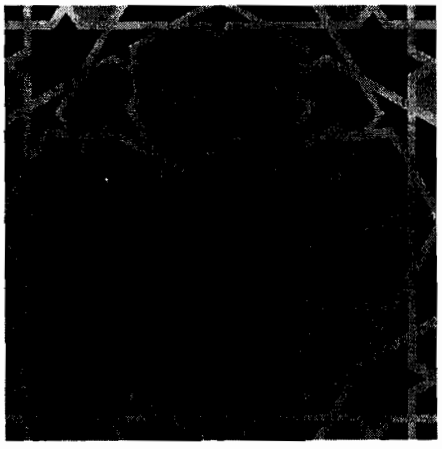

الشكل الثماني والنجمة الثمانية والتكوينات المنبثقة عنها

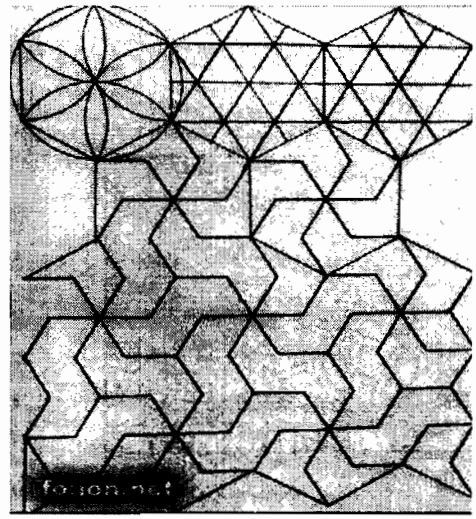

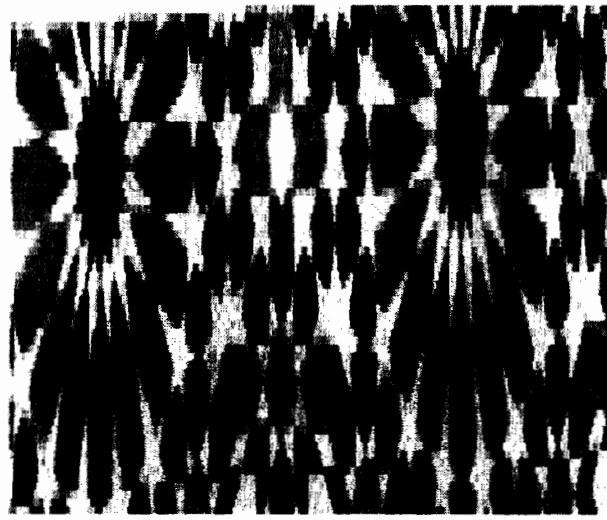

الشكل السداسي والنجمة السداسية والتكوينات المنبثقة عنها

٣- العناصر الكتابية :

قرن الله سبحانه وتعالي بين القراءة والكتابة و العلم ونسبها إلي نفسه في أولـــي الآيات الكريمة التي نزلت علي النبي صلي الله عليه وسلم كما ورد في سورة العلـــق آية (٣:٥) " اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكـــرم

* الذي علم بالقلم *علم الإنسان ما لم يعلم" و أقسم عز وجل بالقلم والكتابة كما ورد في سورة القلم آية (١) " ن والقلم وما يسطرون " . كما وصف سبحانه وتعالي ملائكته بالكُتّاب فقال عز وجل في سورة الانفطار آية (١١) " كراما كاتبين "

وقد استخدمت الكتابات في تكوينات زخرفية كالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية والدعاء والمأثورات والأمثال وأبيات الشعر وقد تنوعت أساليب الكتابة منها الكوفي والثلث وغيرها.

كما أبدع الفنان المسلم في استخدام الخط العربي كعنصر زخرفي فعمل علي رشاقة الحروف وتناسق أجزائها وتزيين سيقانها ورؤوسها ومدائها وأقواسها بالفروع النباتية والأزهار ، كما زين أرضيتها بتكوينات زخرفية متنوعة، وأبدع الفنان المسلم في كتاباته المتداخلة فظهرت العبارات علي شكل مربع أو مستطيل أو بأشكال زخرفية متنوعة وأحيانا علي صور بعض الحيوانات أو الطيور (سامي بشاي وآخرون ، ٢٠٠٥ ، ٤٠٢) .

وتنجلي العناصر الثنائية في الخط العربي بشكل عام في كونه مركبا من الخطوط العمودية والخطوط الأفقية، منها ما هو فوق أفق خط الكلام ومنها ما هو تحته(كمال بلاطة، ١٩٩٠م، ٢٢)

وما زالت تُستخدم الزخرفة الكتابية حتى الآن كأسلوب زخرفي جميل.

نماذج من الزخارف الكتابية :

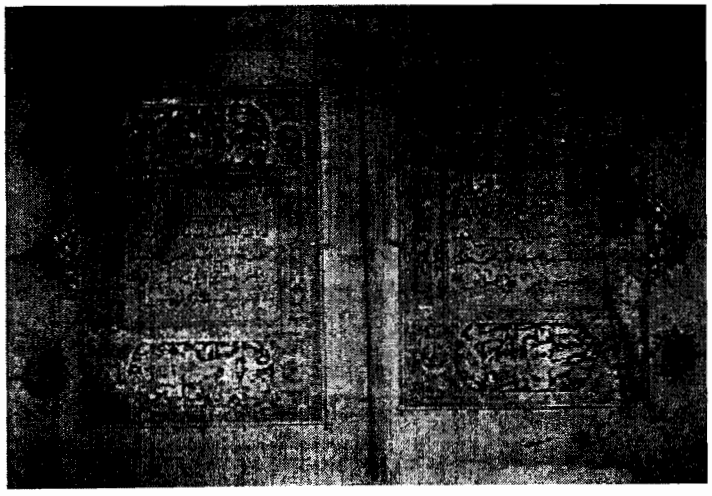

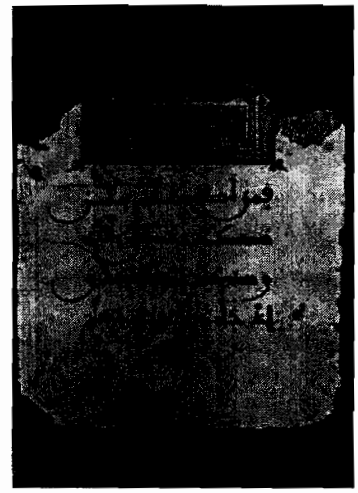

٤- العناصر الحيوانية :

كان رسم الكائنات الحية مكروها في بداية الإسلام بوجه عام وفي عصر الرسول صلي الله عليه وسلم ظهرت بعض الأحاديث التي تحرم التصوير وذلك لمضاهاة خلق الله ، و الرغبة في إبعاد

المسلمين عن الصور والتماثيل التي تقربهم لعبادة الأصنام ، والحكم علي المصورين بالتنديد بهم وما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة .

ثم أخذت رسومات الحيوانات والطيور تظهر شيئا فشيئا من خلال الزخارف النباتية المتداخلة معها أو صور تمثل حيوانات وطيور وقد تحورت أرجلها أو أجنحتها

بتفريعات نباتية ، ثم أخذت رسوم الإنسان تظهر أيضا في الزخارف الإسلامية ولكن هذه الرسوم ذات مسحة زخرفية بعيدة عن صدق تقليد الطبيعة .

وقد كثرت رسوم الإنسان والحيوان والطيور في المدرسة الفنية الفارسية وقد أثرت بعد ذلك في المدارس الفنية الإسلامية الأخرى، وازدهرت الرسوم الآدمية وكثرت في تزيين المخطوطات، وأصبحت بعد ذلك من سمات الفن الإسلامي، وخاصة في فارس (إيران) والهند وتركيا ومصر. (سامي بشاي وآخرون ،٢٠٠٥م ، ٤٠٠) .

مميزات الفن الزخرفي الإسلامي:

(غازي الخالدي،٦٣:٦٤،١٩٩٩)،(علي الطايش،٢٠٠١،٢٣:٢٥)، (سامي بشاي وآخرون،٢٠٠٥،٣٩٨،٣٩٩).

١- كراهية الفراغ :

كان الفنان المسلم يميل إلي تغطية المساحات ولا يتركها بدون زينة أو زخرفة وهذا ما يلفت النظر في التحف الفنية والعمائر الإسلامية فتكون مزدحمة بالزخارف المتصلة بعضها ببعض حيث تغطي المساحة كلها.

ولقد اتخذت الفراغات بين العناصر شكلا مرئيا في الصورة بتجميع العناصر وعدم المساس بشكل كل عنصر علي حدة، مع ملاحظة أن عملية تجميع الأشكال أو توزيعها في الفراغ، يتوقف علي كمية الفراغ المتوفرة أساسا.

٢- البعد عن تمثيل الطبيعة :

رسم الفنان المسلم الأشياء كما صورها خياله ولم يهتم بصدق تمثيل الطبيعة ، والبعد عن تمثيل الطبيعة كان مبعثه نفور المسلمين عن تقليد الخالق سبحانه وتعالي ، واستلهم الطبيعة في رسم زخارفه وموضوعاته الفنية المتنوعة وابتكر عن الطبيعة أسلوب فني يلعب فيه التحوير (التجريد) ذي الطابع الزخرفي الذي يلعب فيه الترتيب والتنميق والخيال الفني دورا كبيرا .

٣- التسطيح:

اعتمد الفنان المسلم في زخرفته علي التسطيح وكان البروز نادر جدا في الرسوم الإسلامية ، واستعاض عن التجسيم بالتلوين والتذهيب ووضوح الخط وتحويره

بأشكال مختلفة، وعندما جسم زخارفه كان ذلك التجسيم ذو مسحة زخرفية واضحة لذلك تعتبر الزخارف الإسلامية من الزخارف الخطية السطحية.

٤- غلبة الطابع الهندسي :

يلعب التقسيم الهندسي الزخرفي دورا رئيسًا في الفن الإسلامي فقد استخدمت المربعات والمستطيلات والمثلثات في خلق تكوينات هندسية جميلة عبارة عن نجوم وأطباق وصور متوالية ومتداخلة بشكل جميل ، كما لعبت الألوان دورها الهام أيضا في تجميل هذه العلاقات الهندسية.

٥- التكرار :

كان للتكرار أهمية ووسيلة للفنان المسلم للتغلب علي مشكلة الفراغ ولذلك استخدم التكرار بكثرة تلفت النظر يتضح ذلك علي التحف والعمائر الإسلامية المختلفة سواء خشبية أو معدنية أو نسيج وتنوعت أساليب التكرار وكان منها التكرار البسيط والمتبادل والمتماثل سواء في أشرطة أو حشوات أو صور زخرفية أو تكوينات هندسية ، ومع ذلك لم يُحدث التكرار في الفن الإسلامي أي ملل أو رتابة في نفسية المشاهد ولعل ذلك من براعة هذا الفن في الابتكار ا ومن جمال أسلوبه ورشاقة خطوطه وتنوع ألوانه و جمال علاقاته.

وينتج عن بعض التكرارات ما يسمي بالموتيفات و هو تصميم يتكون أو يتشكل من واحد من العناصر الزخرفية المتكررة أو أكثر و يتعدد وينظم في تسلسل نظامي(قبيلة المالكي، ٢٠٠٢م، ١٦٥).

التجريد في الفن الزخرفي الإسلامي :

التجريد هو ذلك الفن الذي يعبر فيه الفنان بالعلاقات الخطية واللونية عن العواطف و الأحاسيس والأفكار، ويطلق مصطلح التجريد على الأعمال التي لا تحمل شكلا مباشرا من الواقع وإنما بدلالات خطية في نمط جديد في التعبير بالخطوط والألوان.

تمثل الزخارف الإسلامية أحد الأفكار والطرق، للتعبير عن التجريد في الفن الإسلامي وذلك من أجل الوصول إلى البعد الإيماني لما فوق المادة، وينبع من الاعتقاد بوحدانية الله، لا سيما أنه تعامل مع مجتمع يقدس الأوثان واعتبرها مركزا لحياته وفنه وثقافته ، فخلق هذا الاعتقاد تصورا إيمانيا يرفض الواقع المادي الوثني

من خلال الوحي الإلهي الذي نزل بالتصور الإسلامي للحياة ينبع من فكر مطلق بوحدانية الله عز وجل. (حسن عيسى ،٢٠٠٩م،٤١) .

لم يظهر التجسيم في الزخارف الإسلامية، وإنما خرج التجريد إلى عالم أعلى من خلال خطوطه المستقيمة والمنحية إلى ما هو مطلق، وتمثل الحضارة الإنسانية نهجا تراكميا وموروثا فنيا ينساب بازدياد وتطور تراكمي.

ويمثل التجريد الحالة العامة للفن الإسلامي في اتجاهاته المختلفة، فظهر في الخط العربي والأرابيسك والزخارف، وهو توجه ينقل المستقبل من الرؤية إلى عالم من الإحساس والشعور اللا محدود، بمعنى أنه لا يتعامل مع لوحة فنية بأبعاد محددة وشعور ضيق، بل يشكل لوحة شفافة لا منتهية لا تنتسب لعالم المادة بل إلى مساحات فضائية واسعة تشكله حركة الخطوط ويدرك الفن الإسلامي التجريدي بالعين والخيال وحركة الخطوط الزخرفية وليس إدراكا باللمس، سواء في الخط العربي أو الزخارف، فقد ظهر التجريد من خلال ثنائي الأبعاد.(Prisse,A,2009,38)

وتعد الزخارف عنصرا مهما في تجميل العمارة الإسلامية والأواني والحلي، وهي ذات خصائص فنية في الأسلوب والتكوين بما يشكل رؤية فلسفية تحققت في نفس المسلم، كما تمثل الزخرفة الإسلامية تشكيلا فنيا ابتعد عن التجسيم والمحاكاة والتجسيد الثلاثي، فحققت التناغم والانسجام من خلال خطوط هندسية بسيطة، والمساحات اللونية النقية،و الحركة المستمرة الناتجة عن الخداع البصري، وبتنوع من الأشكال الهندسية المتداخلة كالمربع والمستطيل ومتعددة الأضلاع والدائرة، بالإضافة إلى استخدام العناصر النباتية المجردة كالأزهار بمختلف أشكالها.

رمزية الأشكال المستخدمة في الزخارف الإسلامية :

المربع "المكعب" : الكمال والتوازن والشعور بالمركزية، ويرمز للمادة والإنسان.

الدائرة: الكمال الروحي والسيطرة، وتمثل الشريعة حول المركز الذي يمثل الحقيقة. و ترمز للسماء والكون، وهي مصدر للتكوينات التصميمية، فهي محيط يشكل نقطة لانهائية ترتبط بنقطة ثابتة في المركز تشكل الحقيقة، وهي شكل تعبدي يرسمه المسلم في شعائر الحج حول الكعبة

الخط العمودي: تشكل السمو والارتقاء للأعلى والحركة اللانهائية.

الخط الأفقي : خط موازي لخط الأفق ويرمز للعقلانية والفكر والاتزان.

الشكل الحلزون": يمثل الاستمرارية والحركة والصعود.

القبة "الكرة" : تظهر معنى الكمال ، وترمز للسماء والعالم الروحي.

المثلث البيضاوي: الديناميكية باتجاه أحد الرؤوس.

الشكل البيضاوي : يمثل شكلا غير مستقر. (حسن عيسي ، ٢٠٠٩ ، ٣٠).

المتأمل لرمزية هذه الأشكال التي تعتبر عن وحدات أساسية في بناء الزخرفة الإسلامية يجد أنها جميعا تدل علي وحدة المركز والتماسك والاعتدال والاستقرار وهذا كله يخضع للمنهج الإسلامي الوسطي.

العلاقة مابين الدين الإسلامي والفن:

الفن هو في حقيقته إبداع جمالي لا يعاديه الإسلام ، كما أن حب الجمال يحظي بتقدير و أهمية بالغة في الإسلام ، فهو يتصل بوظائف عقائدية عظيمة ، وقد اختار الله سبحانه وتعالي لنفسه صفة الجمال في ذاته و أسمائه وصفاته ، وقد جاء في الحديث الشريف " إن الله جميل يحب الجمال " (رواه مسلم وأبي داوود).

إن آيات الجمال في مخلوقات الله سبحانه وتعالى تشكل منبعا لنعم الإنسان والتمتع بها قال تعالي:" ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون"(سورة النحل،آية٦).

فالجمال صورة إلهية عامة أمر الله الإنسان أن يبصر بها ويتفكر، فهي تعزز الشعور بقدرة الله سبحانه وتعالى في النفس الإنسانية.

كما يعد القرآن الكريم بجماله اللغوي والتعبيري معجزة جمالية في ذاته يدعو في معظم سوره إلي الجمال وينوه بالأفعال الحسنة والمشاهد الرائعة . (الشفيع الشفيع ، ٢٠٠٧، ٥١).

وقد حبب الزينة إلي عباده فقال سبحانه وتعالي:"قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون" (سورة الأعراف ،آية٣٢)، وقال تعالي:" إنا جعلنا ما علي الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا" (سورة الكهف،آية ٧)

وغاية ما في الفنون الإسلامية يجعل الأولوية للمبدأ الأخلاقي على المبدأ الجمالي، بمعنى أنه يجعل الثاني مترتبًا على الأول ومرتبطًا به.وهذا هو الموقف المبدئي للإسلام إزاء جميع أشكال الفنون.

وهناك معيار إسلامي للحكم على أي فن من الفنون يتمثل في قاعدة تقول: حَسَنُه حسن وقبيحة قبيح ، فآيات الله وجماليات التعبير وقوة البلاغة وأسرار الإعجاز العلمي والتصويري، التي ترسم الصور الفنية من خلال تمثيل الفكرة القرآنية إلى صورة محسوسة، تشكل مسلم مرهف الإحساس يمتلك قدرات حسية على اكتشاف أسرار القرآن، وتمكنه من استشعار عظمة الله وعظمة القرآن، برؤية فنية جمالية تحقق الإشباع النفسي من الجمال.

لا شك أن القرآن من حيث هو إبداع فني حفز الوعي الفني الإسلامي وحرضه علي ابتكار الأشكال والوسائط والوسائل التعبيرية التي يكون في مقدورها أن تعبر عن مضامين دعوته التوحيدية. (إسماعيل الفاروقي،١٩٩٩م،٣٩).

والقرآن الكريم في العديد من آياته يلفت الأنظار إلى ما في الكون من تناسق وإبداع وإتقان، وما يتضمنه ذلك من جمال وبهجة وسرور للناظرين وعلي الإنسان أن يدرك ذلك الجمال بحواسه التي منحه الله إياها. فالإنسان يولد وما تلبث حواسه في أداء وظائفها فيدرك العالم الخارجي بحواسه الظاهرة كالسمع والبصر وغيرها. (محمد نجاتي ، ١٩٩٨، ١٢٣).

كما دعا الإسلام المسلم للاستمتاع بمتاع الحياة الدنيا وجمالها بتوازن وتوافق مع المنهج الإسلامي الذي لا طغيان فيه، فهي حاجة إنسانية تحب الجمال والأنس وتكره القبح و الجمود.

وقد أظهر الإسلام توافقا مع الجمال والتمتع بزينة الحياة وبهجتها ولم يدعو الإسلام للتقشف والعيش بخشونة وسكون، وإنما خضعت حالة التقشف والخشونة للبنية المحيطة، فالبادية مثلت

حالة خشنة ذات تركيبة حياتية قاسية، ولم يظهر ذلك في الشام مثلا وإنما حققت هذه الحالة مفهوم النسبية تبعا للأحوال البيئية المحيطة . (حسن عيسى، ٢٠٠٩، ١١٦).

إن القرآن الكريم ومن خلال آياته ذات الجماليات الفنية الإبداعية والتي تتحول إلى التمثيل بالصور المحسوسة ينمى إبداع الحاسة الفنية للمتدبرين والمتفكرين.(محمد

عمارة،١٩٩١، ١١٦)، وهذه الصورة الحسية للمعاني والأفكار تشكل لوحات فنية بالتمثيل والتصوير ومن هنا لا يعقل أن يرفض الإسلام الفن إذا كان جميلاً. أما إذا اشتمل على القبح بما يعنيه ذلك من قبح مادي ومعنوي فإن الإسلام يرفضه ولا يوافق عليه.

وترتيبًا على ما تقدم فإن الفن إذا كان هدفه المتعة الذهنية، وترقيق الشعور، وتهذيب الأحاسيس، فلا اعتراض عليه، ولكن إذا خرج عن ذلك وخاطب الغرائز الدنيا في الإنسان ، وخرج عن أن يكون فنا هادفا فإنه حينئذ لا يساعد على بناء الحياة ، بل يعمل على هدمها ، وبذلك يخرج عن أن يكون فنًا ، بل يصير نوعًا من اللهو المذموم والعبث المرفوض، وهذا أمر لا يقره الإسلام.

وقد خلق الله هذه الغرائز في البشر من أجل غرض سامي ولذا فإنه من المستحيل عليهم أن يؤدوا عملهم في هذه الدنيا دون مساعدة هذه الغرائز والمتع التي تعينهم علي الفضيلة وصولا إلى أهدافهم، ويستنتج من ذلك أن الشريعة لجأت إلى تنظيم تلك الغرائز وتحديد مجالات استخدامها حتى تعمل سويا بطريقة بناءة من أجل تحقيق المقاصد الأخلاقية العليا.

وأن الشريعة – مثلها مثل القرآن الذي قامت عليه – تحقق الوسطية المذهبية ومن ثم فهي تعارض التطرف فتقف ضد عدم استخدام الفن التشكيلي كما تقف ضد المغالاة في استخدامه.

والفن الإسلامي المعتدل تبناه الكثيرين من الفنانين المعتدل الذين يسعون إلى الوسطية في العالم الإسلامي وأثبتوا نجاحهم واستطاعوا أن يوصلوا رسائلهم الدينية التي تبرز جمال الدين وعظمته إلى قلب أوروبا وهذه الطريقة الأسرع والأكثر تأثيراً عندما نريد أن نخاطب المجتمعات الغربية.

وفي النهاية فإن الفن الهادف هو الفن الوسط الهادف، فالأمة الإسلامية أمة وسط والفن الإسلامي فن جاد يحافظ على الهوية الإسلامية العربية ومبادئنا ويدعو إلى الأخلاق والفضيلة .

نتائج البحث :

للتحقق من صحة فرض البحث الحالي الذي نص علي أن " هناك علاقة بين الاعتدال والاتزان في الفن الزخرفي الإسلامي وبين الوسطية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي"

تم تحليل بعض الوحدات الزخرفية الإسلامية ملحق(١) ومن خلال ذلك تم التوصل للنتائج التالية:

- أن الوحدات الزخرفية الإسلامية قد حققت حالة منسجمة وجامعة للمادة والروح، وقد مثلت هذه الوحدات القاعدة الفنية للوحدة والاستمرارية كحالة طبيعية في الكون والحياة والإنسان من خلال الحركة والنظام .
- حرص الفنان المسلم على أن تكون لوحاته الفنية الزخرفية بالغة الدقة والإبداع ويمثل المضمون في العمارة الإسلامية تعبيرا أوسع من الوظيفية، فهو تعبير للمكونات المادية الوظيفية والمتطلبات المعنوية العقائدية.

وهذا يعكس نظرة المسلم الإيمانية والحضارية للكون و تطوره في المجال المادي والفكري، مما يخلق الحاجة التي تؤدي إلى التطور الوظيفي للزخارف الإسلامية بالإضافة إلى الرغبة الإنسانية والدافع الإسلامي للبحث والابتكار، وهذا ما يحقق الحياة والمرونة بما هو أفضل وأجمل فنيا وماديا.

- تم استعمال التشكيلات الزخرفية داخل المساجد الإسلامية بألوان قوية وجريئة، بالإضافة إلى البعد المكاني والروحي الذي تم تحقيقه من خلال البعد الجمالي ذي التأثير الحسي والنفسي بالإضافة إلى البعد الوظيفي وذلك من أجل فن إنساني متزن ، محققا بعدا توافقيا للشكل والمضمون في الزخرفة الإسلامية .
- شكلت النظرة الإيمانية الخصائص المميزة للفن الإسلامي كلغة فنية مرجعها واحد، وهو مرجع ديني ، فهو فن ذو تأثير بالبعد الروحاني دون أن يطغى على البعد الاجتماعي والوظيفي حتى يكون فنا روحيا تطبيقيا عمليا يجعل الحياة أكثر متعة ونفع ، فهو فن ليس بالضرورة أن يكون فنا وعظيا يشرح الإسلام ، ولكنه فن يصور الكون والحياة من منظور إسلامي إيماني، متشكل بروح إنسانية فنية مرجعها الشعور واليقين بعظمة الله في الخلق.
- تمثل الزخرفة حركة منطلقة لا نهائية، فالنقطة تشكل خطا يتحرك بفنية في حلقات ومربعات دون ثبات، مشكلا إحساسا فنيا في عالم واسع الاستمرار، فتُلزم هذه الحركة العقل الإنساني نحو طلب الوصول إلى اللانهائي فهي قوة تطلق الخيال إلى آفاق الفضاء اللانهائي الممتد باتجاهاته .

كما توصل البحث الحالي إلي بعض مظاهر الوسطية في الفن الزخرفي الإسلامي والتي تؤكد علي وجود علاقة مابين الاعتدال والاتزان في مضمون الفن الزخرفي الإسلامي ومابين منهج الإسلام القائم علي الوسطية وهي كالتالي :

- أنه لم يحرم الفن تحريما تاما بل حدد ما هو محرم وكان ذلك متمثلا في رسم كل ما فيه روح من إنسان وحيوان وطائر، وترك مساحة لكي يروح فيها الفنان المسلم عن نفسه من ضغوط الحياة في تناول العناصر النباتية وهذا حلا وسطا فلم يشدد في تحريم الفن وكذلك لم يفرط في حقوق الله سبحانه وتعالي .
- التزامه بقواعد الفن التشكيلي ومنها الاتزان فالمتأمل للفن الزخرفي الإسلامي يجد أن الاتزان هو أساسها وهذا تطبيقا للمنهج الإسلامي المعتدل الذي يوجه المسلم لكي يكون متزنا ومعتدلا في تفكيره وجميع أمور حياته.
- اعتماده علي الوحدات الهندسية في الزخرفة والمعروف أنها وحدات محسوبة رياضيا وتعتمد علي أن يكون هناك بؤرة ونقطة وسط تؤخذ من خلالها الأبعاد الأخرى كما في الطبق النجمي والنجمات المختلفة بأنواعها الخماسية والسداسية والثمانية وكلها وحدات تعتمد علي الحسابات الرياضية بحيث يتوسط كل منها الآخر، وفي ذلك دعوي للمسلم في أن في التوسط الحل الأمثل للعيش السعيد وهذا يتفق مع دراسة حسن عيسي (٢٠٠٩) التي تري الأشكال النجمية استخدمت في الفن الإسلامي بشكل متنوع واسع وذلك لارتباط الفنان المسلم بالسماء، وقد ذكرت النجوم في آيات قرآنية كريمة، وشكل هذا دافع للفنان المسلم باستخدام التشكيلات النجمية المتنوعة لتعبر عن فكرته وفلسفته الداخلية، والأشكال النجمية هي رمز للبحث الإنساني عن الإله وعن المطلق كي تحقق ذلك التتابع الزخرفي، فظهرت النجمة السداسية والخماسية والثمانية ، التي تشكل الأكثر استخداما، والناتجة عن اندماج مربعين برمزية السماء والأرض، والعرش الإلهي الذي يحمله ثمانية من الملائكة .
- تناول الفن الزخرفي الإسلامي التكرار بأشكاله المختلفة حيث وجد فيه الفنان المسلم عوضا للتجسيم ببعض أنواع التكرار المتعارف عليها في الفن التشكيلي وجاء هذا التكرار للعناصر التي وجد فيها جمالا وإبداعا وإضافة إلي عمله الفني دون أن يكون هناك ملل أو رتابة، وهنا معني آخر للتعبير عن عمق النية في تكرار كل ما ينفع المسلم فالعمل الذي يعود عليه بالثواب يكرره وفي هذا تأكيد لأن يتخذ المسلم لنفسه المنهج الوسط .

والوحدة والتكرار مفهومان تمثلهما الزخرفة الإسلامية بنسق ينتج من الترتيب النظامي ، فهو نظام رياضي يعطي معني روحي ، يبحث عن المطلق والرؤية الإيمانية للإنسان في حياته المادية، "ويعتبر التكرار المتغير من أهم عناصر الزخرفة الإسلامية الذي أسبغ عليها ميزة الوحدة"(قبيلة المالكي، ٢٠٠٢ م،ص ١٦٤) وتمثل البنية الشكلية المتكررة عنصرا حاسما في تشكيل النسق والنظام ويصل إلى مستويات الكمال من خلاله ، ويحقق النسق، والجمال والنظام والخيال.

- تمثل الوحدة، أحد خصائص اللوحة الزخرفية الإسلامية، والتي حققت فلسفة الوسطية الإسلامية، وقد التزم الفن الزخرفي الإسلامي بالوحدة الفنية وهذا يعكس فكرة أن المسلم كل لا يجزأ مكون من روح وجسد وهناك علاقة ما بينهما فكل العبادات والطاعات التي يقوم بها المسلم تنعكس علي روحه والعكس،ولا يستطيع المسلم أن يؤدي العبادات كما يجب إلا إن كان في صحة جيدة ، كما أن التكاليف والعبادات لا تتجزأ فلا يصح أن يلتزم المسلم بطاعة معينة ويكون مقصرا في طاعة أخري وإنما دعوة الإسلام جاءت بأن تكون حياة المسلم وعباداته وطاعاته لما جاء به شرع الله، وهذا يحقق حالة من صفاء الذهن والاستقرار وعدم الاضطراب.

فالإسلام يتميز بالتوحيد والتوجه المتفرد لله رب العالمين، وبالتالي لا يوجد تشتيت في العقيدة الإسلامية أو تقاسمها في اتجاهات مختلفة ، وقد انعكس مفهوم التوحيد على نواحي الحياة والفكر، وشمل الفنون الزخرفية (علي رأفت، ١٩٩٧م، ١٢٧).

- تتشكل وسطية الزخرفة الإسلامية من خلال الوحدة الفلسفية بين الثابت بقوته التأسيسية المتمثلة في الوحدات الزخرفية وبين المرن الذي يعكس الرؤية العصرية، فالزخرفة تمثل وحدة أو شكل ثابت يحقق معنًا ورمزًا تبعا للشكل والمضمون.

- تقوم الزخرفة الإسلامية على دعوة الإنسان للتأمل والبحث في العمق الوجداني، سعيا إلى الإحساس بنعم وعظمة الخالق وتوحيده وهو غاية الغايات في الإسلام، والتوحيد يؤكد ارتباط الخالق بالمخلوق، الذي لا يخرج عن الإرادة الإلهية التي تحقق معيارا دينيا وحياتيا، ويمثل الفن الإسلامي جزءا من تطبيقه المادي، ويؤكد التوحيد على أن الإنسان خاضع لقوة عظيمة واحدة، في عالمه المحسوس المدرك وعالمه الغيبي، وبالتالي يكون إبداعه الفني وسلوكه المادي خاضع لهذه القوة.

- تمثل الزخرفة الإسلامية توافقا بين الشكل والمضمون، وتحقيق البعد فلسفي إيماني، وقد ارتقت إلى المرتبة الأولى في فن الزخرفة الإسلامية لتوافقها مع النظرة الإيمانية ورفضها للتجسيد، وصدقها في البحث عن المطلق ومعاني غير نهائية في نفس المسلم وبالتالي حققت الزخرفة الإسلامية بتكويناتها المادية بعدا روحيا والتي شكلت الحالة الوسطية الجامعة بين الشكل والمضمون والمادة والروح .
- رفض الفن الإسلامي المحاكاة ولجأ إلي التجريد وقد جاء هذا الاتجاه امتثالا لشرع الله والبعد عن دائرة المحظور لذلك وجد الفنان المسلم في الزخرفة الإسلامية أنها الفن الأكثر ملائمة للمنهج الإسلامي وبالتالي أصبحت هي الفن الأكثر انتشارا بين الفنون الإسلامية.

وبذلك تكون تمت الإجابة عن سؤال البحث الحالي وهو " هل توجد علاقة بين الاعتدال والاتزان في الفن الزخرفي الإسلامي وبين الوسطية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي ؟ "

توصيات البحث :

يوصى البحث الحالي بالتالي :

- الاهتمام بالأبحاث المتعلقة بالفن الإسلامي الوسطي وتوضيح الهدف السامي للفن الإسلامي.
- إعادة فهم الفن الإسلامي في ضوء الفكر الوسطي بما يحقق نظرة جديدة للفن الإسلامي.
- استخدام الفن الإسلامي كلغة خطاب حضارية لمخاطبة الآخر باعتبار أن لغة الفن تقرب التفاهم بين الشعوب.
- عقد المؤتمرات الخاصة التي تحث علي انتهاج الوسطية بشكل عملي وتطبيقي وعدم الاقتصار علي تقديم الفلسفة الوسطية بشكل نظري فقط.

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١- إسماعيل الفاروقي.(١٩٩٩). الإسلام والفن. ترجمة وفاء إبراهيم. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع .

٢- جون دنت.(٢٠٠٠). علم النفس الاجتماعي والتعصب. ترجمة عبد الحميد صفوت.القاهرة: دار

٣- حسن محمود عيسى.(٢٠٠١). " فلسفة الوسطية الإسلامية والتجريد في العمارة الإسلامية " رسالة دجستير ، كلية الهندسة ، جامعة النجاح الوطنية بنابلس .

٤- حسنين المحمدي بوادي.(٢٠٠٦).الوسطية حياة وحضارة . الإسكندرية : دار الفكر الجامعي .

٥- سامي رزق بشاي وآخرون.(٢٠٠٥). تاريخ الزخرفة للصناعات الزخرفية والنسجية . القاهرة مكتبة الانجلو .

٦- سمير الصايغ.(٢٠٠٣). الفن الإسلامي: قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية.بيروت: دار المعرفة .

٧- الشفيع بشير الشفيع.(٢٠٠٧). مدخل إلي التذوق والنقد الفني. حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع.

٨- عبد الحميد إبراهيم.(٢٠٠٥). موسوعة الوسطية الإسلامية . تطبيقات الوسطية. الكتاب الثاني.القاهرة: دار طيبه للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية.

٩- عبد الرحمن الميداني.(٢٠٠٩). الوسطية في الإسلام: رسائل تذكير وتبصير. بيروت: لبنان مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠- علي احمد الطايش.(٢٠٠١).الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي. القاهرة : زهراء الشرق .

١١- علي رأفت.(١٩٩٧).الإبداع الفني في العمارة. مركز أبحاث إنتركونسلت.

١٢- غازي الخالدي.(١٩٩٩). علم الجمال نظرية وتطبيق . دمشق : مطابع وزارة الثقافة . الفكر العربي.

١٣-قبيلة فارس المالكي.(٢٠٠٢). الهندسة والرياضيات في العمارة، دراسة في التناسب والمنظمات والمنظومات التناسبية. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

١٤-كمال بلاطة.(١٩٩٠).في هندسة اللغة وقواعد الرقش (الأرابسك). ندوة مواقف الإسلام والحداثة لمجموعة من المفكرين العرب : دار الساقي .

١٥-محمد أحمد الراشد.(د-ت). أصول الإفتاء و الاجتهاد في نظريات فقه الدعوة الإسلامية. الجزء الثاني.

١٦-محمد السيد عبد الرحمن.(٢٠٠٤).علم النفس الاجتماعي المعاصر.القاهرة:دار الفكر العربي

١٧-محمد عثمان نجاتي.(١٩٩٨). القرآن الكريم وعلم النفس. بيروت: دار الفكر.

١٨-محمد عمارة.(١٩٩١). الإسلام والفنون الجميلة. ط٢. القاهرة: دار الشروق.

١٩-محمد قطب .(د-ت). منهج الفن الإسلامي. ط٤.القاهرة : دار الشروق.

٢٠-مصطفي صالح باجو.(٢٠١١)." معالم الوسطية من منظور قرآني". مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي ، جامعة طيبة ، ٦-٩ مارس.

٢١-هانم محمد عوض(٢٠١١)." الوسطية في ضوء القرآن الكريم". مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي ، جامعة طيبة ، ٦-٩ مارس.

٢٢-يوسف القرضاوي.(٢٠٠٧).كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها.الكويت:المركز العالمي للوسطية.

٢٣-يوسف القرضاوي.(٢٠٠٨).كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها.ط٢.القاهرة: دار الشروق.

ثانياً : المراجع الأجنبية:

24- Prisse,A.(2009). Arabic Art in Color Edited. Publications, INC: New York.

25- Woltherwolf,D.(2000).Egyptian Chen Kunst Zur Antiken And Abend Andischen. London.